

المتن: من مختارات موقع توفيق رشد www.philomaroc.com

ثراء حركية الجهل، والخوف من جمود منظومة العلم (3)

مازلت أشعر بأن استيعاب أكثر من فقرة، من متون النفري، هو أمر صعب، ومسئولية جسيمة، فأكتفى اليوم بعشر فقرات، والله المعين الستار.

.....

وقال (للنفري)

(17) وقال لى أفعُدْ فى ثُقْبِ الإِبْرَةِ ولا تَبْرَحْ، وإذا دخل الخيط فى الإبرة فلا تُمْسِكْه، وإذا خرج فلا تَمُدّه، وافرح فإِنّى لا أُجِبُّ إلاّ الفَرَحان.

فقلت له:

أقيس رؤيتى لك بفرحتى بك، وبى، وبهم

الفرح علامة الرضا،

والرضا معرفة أخرى،

هى المعرفة الحركية بالجهل وبالعلم إلى المعرفة

وهى تسمح أن يسعنى ثقب إبرة، فإذا دخل شدى إليك لا زاحمى فىك،

وإذا خرج لا أمدّه أكثر،

أسمح أن يمتد إليك، لا يجرجرنى إليه، ولا يصحبنى معه

لست فى حاجة إلى غير ما أنا فيه، شريطة ألا أستقر فيه،

أنت تدعونى للفرح وأنتك لا تحب إلا الفرحان

فرحت،

ولكننى حين أحزن، أحزن أيضا إليك فرحاً

حزنى الجاد هو فرحة

فأطمئن إلى أنك تحبنى فى الفَرَحَيْن

الفرح الحزين،

والفرح الفيرخ

فأفرح أكثر.

فتحببنى أكثر

فأحبهم

فأفرح أكثر

(18) وقال لى التقط الحكمة من أفواه الغافلين عنها، كما تلتقطها من أفواه العامدين لها؛ إنك ترانى وحدى فى حكمة الغافلين لا فى حكمة العامدين.

فقلت له:

الحكمة حين تسمى حكمة، لا تعود حكمة،

اتسعت الرؤية على وأنا أنظر من خلال غفلة الغافلين لا بعيونهم،

فأصبحت مدينا لهم

أحمل أمانتها عنهم حتى يتسلموها إليك.

أراك وحدك فى وحدانيتك، ليس كمثلك شىء،

لكننى أراك أيضا فيهم وبهم، فينا وبنا

(19) وقال لى أكتب حكمة الجاهل كما تكتب حكمة العالم.

فقلت له:

طيب، وحكمة المجنون ؟ !!!
هو أحكم من أن يتنازل عن جهله،
وأجهل من أن يُملى حكمته
وأفضل من أن يتحمل مسئوليته إليك

لا أكتب حكمة الجاهل إلا محيطة بما تعدُّ حكمته من علم
ولا أكتب حكمة المجنون وأنا على مسافة منه، كما أننى لا أكتبها على حسابه
ثم أننى لا أطمئن لحكمة العالم إلا إذا اطمأنت لجهله

(20) وقال لى الحَرْفُ لا يَلِجُ الجَهْلَ.

فقلت له:

لكنه يزعم محو الجهل وهو لا يحو إلا نفسه
يطمس نفسه في نفسه بنفسه،
يلج العلم فيخفيه فيحل محله
يصبح العلم حرفاً
ويبقى الحرف خاويًا من الجهل ومن العلم ومن الحرف نفسه

(21) وقال لى الحَرْفُ يَعْجِزُ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ نَفْسِهِ، فَكَيْفَ يُخْبِرُ عَنِّي.

فقلت له:

المصيبة أن من لا يعرف إلا الحرف، يصدّق أنه يحكى عنك،
الحرف الذى يطفو فوق المعنى فيحجبه هو نعش فارغ حتى من جثته
فكيف يخيل إليهم أنه يمكن أن يخبر عنك
إلا إن كانوا يظنون أن ما يحسبونه أنت، هو أنت.

(22) أوقفنى بين يديه وقال لى الحَرْفُ جِجَابٌ. وكلية الحرف حجاب. وفرعية الحَرْفُ جِجَابٌ.

فقلت له:

علّمتنى كل ذلك وأنا لا أتعلم،
وما زلت في حاجة إلى حجاب يحمينى من رؤية قبل الأوان
الحجاب حتى بالحرف سترٌ وغطاء
أختبئ خلفه على شرط ألا يجل محل ما يجب
وحين أستغنى عنه مطمئنا : أجدك في انتظارى وانت تعرف شوقى
فلا أعود إليه إلا أحيانًا، وبإذن خفى منك
لأعود إليك

(23) وقال لى العلم الذى ضده الجهل؛ علم الحرف،

والجهل الذى ضده العلم جهل الحرف.
فاخرج من الحرف تعلم علماً لا ضدّ له.
وتجهل جهلاً لا ضدّ له.

فقلت له:

وماذا أفعل إن أنا خرجت قبل الأوان فلم أجدنى فلا أجدك،
أمهلنى حتى أستغنى عن الحرف،

وعن العلم الضد،
وعن الجهل الضد،
ساعتها لن أحتاج أصلاً إلى حروف
الحروف أعجز عن أن ترسم كل ما لا ضد له
لكنتى في حاجة إليها - كما تعلم - بين الحين والحين
حتى أستطيع أن أواصل.

(24) وقال لى أخرج من العلم، تخرج من الجهل.

فقلت له:

مستعد أنا أن أخرج من العلم شريطة ألا يجرمنى فضله
ولا أريد أن أخرج من الجهل إلا إلى علم يسمح به،
أخشى أن أخرج من الجهل فينقض على العلم الخالص بلا جهل،
فلا أكون
فلا ترضى
فلا أرضى

(25) وقال لى أخرج من العلم الذى ضده الجهل،
ولا تخرج من الجهل الذى ضده العلم تجديني.

فقلت له:

نعم ..!! نعم ..!!
فما حاجتى إلى علم مغلق
أنا أحوج إلى جهل واعد "أن أكون" فأصير، فأجدك
فإن لم "أكن"،
فلسوف أستقر، أهدم، أسكن،
فلا أجدك
وإن "كنت" بدونك، لم أجدك، فلا أكون

فأسرع من جديد أحتمى بالجهل
وأواصل،
فأجدك
فأواصل

لا أخرج من العلم الذى ليس له ضد
ولا أستقر فى الجهل حتى لو اطمأننت أنه ضد العلم الذى هو ليس علماً

(26) وقال لى يا عارف أين الجهالة منك، إنما ذنبك على المعرفة

فقلت له:

ذنبى أنى عرفت حتى حسبت أنى استغنيت عن جهلى، فسامحنى
وحيث انتبهت، استعدت حتى فى الجهالة
فاغفر لى ذنب المعرفة اللامعرفة

(27) وقال لى إن انحصر علمك لم تعلم

فقلت له:

ينحصر العلم في العلم،
وينحصر الحرف في الحرف،
ولا تنحصر أنت في الجهل،
فهو الطريق الآمن إليك
فيتجرجر العلم وراءنا
يخدمنا، لا يسحبنا، ولا يسجننا
فلا يبرر لنا ما ليس هو
.....

(بدءاً من هنا ، مختارات "توفيق رشد" من كتاب المخاطبات)

(28) يَا عَبْدُ، إَلْقِ عِلْمَكَ وَجَهْلَكَ فِي الْبَحْرِ.

فقلت له:

ومن أضمنني؟
خصوصاً لو فعلتُها قبل الأوان
فمتى الأوان؟

(29) يَا عَبْدُ عَذْرَتُ مَنْ أَجْهَلْتُهُ بِالْجَهْلِ، مَكَرْتُ بِمَنْ أَجْهَلْتُهُ بِالْعِلْمِ

فقلت له:

عرفت ذلك
فحذرت أن أنهل من العلم إلا حين أطمئن إلى ما به من جهل
أعلم أنك خير الماكرين
وأنت أيضاً أرحم الراحمين
خاصة بمن يحاول
وأنا أحاول
فلا تجهلني بالعلم
ولا بالجهل
يطمئنني كدحي،
وأخاف الليل إلا وشمسك تضيئني في ظلامه إليك.

(30) يَا عَبْد آيَةَ مَعْرِفَتِي أَنْ تَزْهَدَ فِي كُلِّ مَعْرِفَةٍ

فقلت له:

لأ أزهد في المعرفة إلا أن أطمئن إلى جهلي،
ولا أطمئن لجهلي إلا حين أزهد في المعرفة التي لا تهديني إليك
وحين أزهد في هذه المعرفة أجد المعرفة التي تتفجر من جهلي نحوك
فأجذك
فأجدي
فأجذك
وهكذا